

تفسير البحر المحيط

@ 458 @ المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع ، يعني أن طعامهم من شيء ليس من مطاعم
الإنس وإنما هو شوك ، والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به ، وهذا نوع منه تنفر عنه ولا
تقر به ، ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه ، وهما إماطة الجوع وإفادة القوة ، والسمن في
البدن ، انتهى . فقوله : مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع . أما جره على
وصفه لضريع فيصح ، لأنه مثبت منفي عنه السمن والإغناء من الجوع . وأما رفعه على وصفه
لطعام فلا يصح ، لأن الطعام منفي ولا يسمن ، منفي فلا يصح تركيبه ، إذ يصير التقدير : ليس
لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا من ضريع ، فيصير المعنى : أن لهم طعاماً يسمن ويغني
من جوع من غير ضريع ، كما تقول : ليس لزيد مال لا ينتفع به إلا من مال عمرو ، فمعناه أن
له مالاً ينتفع به من غير مال عمرو . ولو قيل : الجملة في موضع رفع صفة للمحذوف المقدر
في { إِلاَّ مِّنْ ضَرِيْعٍ } كان صحيحاً ، لأنه في موضع رفع على أنه بدل من اسم ليس ، أي
ليس لهم طعام إلا كائن من ضريع ، إذ الإطعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع ، وهذا
تركيب صحيح ومعنى واضح ، وقال الزمخشري : أو أريد أن لا طعام لهم أصلاً ، لأن الضريع ليس
بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس ، لأن الطعام ما أشبع وأسمن ، وهو منهما بمعزل . كما تقول :
ليس لفلان ظل إلا الشمس ، تريد نفي الظل على التوكيد . انتهى . فعلى هذا يكون الاستثناء
منقطعاً ، إذ لم يندرج الكائن من الضريع تحت لفظة طعام ، إذ ليس بطعام . والظاهر
الاتصال فيه . وفي قوله : { وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِّنْ غَسَّالِيْنٍ } ، لأن الطعام هو ما
يتطعمه الإنسان ، وهذا قدر مشترك بين المستلذ والمكروه وما لا يستلذ ولا يستكره .
{ وَجُوْهُ يَوْمَ مَّئِيْذٍ نَّاعِمَةٍ } : صح الابتداء في هذا وفي قوله : { وَجُوْهُ
يَوْمَ مَّئِيْذٍ خَاشِعَةٍ } بالنكرة لوجود مسوغ ذلك وهو التفصيل ، ناعمة لحسنها ونضارتها
أو متنعمة . { لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ } : أي لعملها في الدنيا بالطاعة ، راضية إذا
كان ذلك العمل جزاؤه الجنة . { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةِ } : أي مكاناً ومكانة . وقرأ
الأعرج وأهل مكة والمدينة ونافع وابن كثير وأبو عمرو بخلاف عنهم . { لاَ تُسْمِعُ }
مبنياً للمفعول ، { لاَغِيَّةٌ } : رفع ، أي كلمة لاغية ، أو جماعة لاغية ، أو لغو ، فيكون
مصدراً كالعاقبة ، ثلاثة أقوال ، الثالث لأبي عبيدة وابن محيصن وعيسى وابن كثير وأبو
عمرو كذلك ، إلا أنهم قرأوا بالياء لمجاز التأنيث ، والفضل والجحدري كذلك ، إلا أنه نصب
لاغية على معنى لا يسمع فيها ، أي أحد من قولك : أسمعت زيدا ؛ والحسن وأبو رجاء وأبو
جعفر وقتادة وابن سيرين ونافع في رواية خارجة وأبو عمرو بخلاف عنه ؛ وباقي السبعة : لا

تسمع بتاء الخطاب عموماً ، أو للرسول عليه الصلاة والسلام ، أو الفاعل الوجود . لاغية :
بالنصب ، { فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ } : عين اسم جنس ، أي عيون ، أو مخصصة ذكرت
تشريفاً لها . { فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ } : من رفعة المنزلة أو رفعة المكان ليرى
ما خوله ربه من الملك والنعيم ، أو مخبوءة من رفعت لك هذا ، أي خبأته . { وأكواب
موضوعة } : أي بأشربتها معدة لا تحتاج إلى مالد ، أو موضوعة بين أيديهم ، أو موضوعة
على حافات العيون . { * } { وأكواب موضوعة } : أي بأشربتها معدة لا تحتاج إلى مالد ، أو
موضوعة بين أيديهم ، أو موضوعة على حافات العيون . { * } : أي بأشربتها معدة لا تحتاج
إلى مالد ، أو موضوعة بين أيديهم ، أو موضوعة على حافات العيون . { وَزَمَّارِقٌ
مَمْفُوفَةٌ } : أي وسائد صف بعضها إلى جنب بعض للاستناد إليها والاتكاء عليها . {
وَزَرَابِيٌّ } : متفرقة هنا وهنا في المجالس . .

ولما ذكر تعالى أمر القيامة وانقسام أهلها إلى أشقياء وسعداء ، وعلم أنه لا سبيل إلى
إثبات ذلك إلا بواسطة الصانع الحكيم ، أتبع ذلك بذكره هذه الدلائل ، وذكر ما العرب
مشاهدوه وملابسوه دائماً فقال : { مَبْدُوثَةٌ أَفْلاَ يَنْظُرُونَ إِلى الإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ } ، وهي الجمال ، فإنه اجتمع فيها ما تفرق من المنافع في غيرها ، من أكل
لحمها ، وشرب لبنها ، والحمل عليها ، والتنقل عليها إلى البلاد الشاسعة ، وعيشها بأي
نبات أكلته ، وصبرها على العطش حتى أن فيها ما يرد الماء لعشر ، وطواعيتها لمن يقودها
، ونهضتها وهي باركة بالأحمال الثقال ، وكثرة جنينها ، وتأثرها بالصوت الحسن على غلط
أكبادها ، وهي لا شيء من الحيوان جميع هذه الخصال غيرها . وقد أبان تعالى امتنانه عليهم
بقوله : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَن زُجَّارًا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّسَّا عَمَلَاتٍ أَيْدِيَنَا
أَزْعَامًا } ، الآيات . ولكونها أفضل ما عند الغرب ، جعلوها دية القتل ، وهبوا المائة
منها من يقصدهم ومن أرادوا إكرامه ، وذكرها الشعراء في مدح من وهبها ، كما قال : .
أعطوا هنيذة تحذوها ثمانية .

وقال آخر : .

الواهب المائة الهجان برمتها